

الخميس 06-09-2007

6- الورطة .. (أَكُوْلُ .. أم أتوة؟)

المسألة كالاتى

نحن لا نختار تماما ما نفعل وما ندع، وإنما نحن نخسر أنفسنا (أو نجد أنفسنا محشورين) في مجال يسمح لنا بأن نفعل بعض ما نفعل، وأحيانا هو لا يسمح إلا بأن نفعل ما يمكن أن يتم فيه.

أنا آسف لهذه البداية، لكن، لا ..،

فما فائدة خصوصية هذه الكتابة المستقلة إن لم تسمح لي بمثل ذلك؟

دعوني أقدم بعض الشرح:

الزواج: ليس اختيارا سواء كان عن حب أو ترتيب أو التزام ديني أو غير ذلك، الزواج مجال لاحتمالات اختيارات لاحقه، تُجَهِّضُ عادة بعد أول خطوة، أو يستمر الحال علي ما هو عليه والمتضرر يذهب في ستين داهية، أو ربما يستمر أسوأ مما هو عليه، أو يتمادى بتسكين الأولاد، والعادة، وبأقل قدر من الحركة الحقيقية، ومع ذلك فالزواج ما زال هو الورطة المناسبة للمجتمع الحال.

التعليم: ليس اختيارا، أنت لا تذهب للمدرسة لتتعلم، أنت تذهب للمدرسة لأنك بلغت سن المدرسة، وعيب ألا تذهب، وأنت من أسرة، يذهب أولاد جيرانها للمدرسة، برغم أن رب تلك الأسرة موظف في الأرشيف، في حين أن أبك باشكاتب في السكة الحديد، ثم بعد أن تتعلم القراءة والكتابة، ثم لاحقا الحاسوب والنت حسب الظروف والاضطرار، تجد نفسك في المجال الذى اخترته والذى لا يسمح لك بالحركة إلا داخل حدوده، ربما تستطيع أن تختار، في حدود ما اكتبست من أدوات وأمجدية، لكنك عادة لا تفعل ولا مؤاخذه.

التعلم، بدءًا من القراءة والكتابة، والمهارات الحاسوبية، وغيرها، هو في واقع الأمر "ورطة أرحب" - تفرز أو لا تفرز اختيارات أكثر.

وهكذا في السياسة، والاقتصاد، والدين، والانتماء لوطن بذاته.

أنا لست مع أى احتمال يرجح أن الإنسان مسير لا خير، وإلا أكون قد تنازلت عن أهم ما أفخر به، عن مسئولية وجودي، أنا فقط أنبه أننا في كثير من الأحيان نضطر أنفسنا لما نتمور أنه يسمح لنا باختيارات أرحب.

يبدو أن هذا ما حدث لي وأنا أورط نفسي هذه الورطة الحالية: أن اضطر نفسي اضطرارا للكتابة اليومية ربما يتسع مجال اختياري.

وربما هو هو ما حدث لنا ونحن نصدر "مجلة الإنسان والتطور"، منذ 1980 حتى 2002، فصلية بانتظام.

أكتشفت من قديم - وتأكدت حالا- أن حياتي كلها ربما استمرت بفضل أنني اتحرك بنفس "النص" Script: **توريط، فاضطرار، فاستمرار، فاختيار، فإعادة اختيار، فتوريط، وهكذا.**

أتساءل مكررا: هل فعلتُ شيئا في حياتي إلا من خلال مثل هذا "النص" المعاد؟.

لم أستطع أن أنجح في دراستي التقليدية (سنة أولى/ سنة ثانية/ سنة خامسة/ بكالوريوس/ دكتوراه..) إلا بأن أورط نفسي في "وساوس" مصطنعة، مضحكة غالبا.

كان الأمر يسير هكذا:

"أنا لو لم أذاكر كذا وكذا اليوم أو الآن، فسوف يحدث كيت وكيت (مما لا أحبه) فأذاكر، لا لأنجح أو أتفوق، ولكن حتى لا يحدث الشيء السرى الذي قررت أن أضحي بكل شئ (حتى بوقتي أضيعه في المذاكرة)، لكي لا يحدث هذا الذي لا أحبه سرا، وهكذا، وهكذا، فاستمر الحال والسلام.

هل فهم أحد شيئا؟

لن أعتذر، فلو حاولت شرحا أكثر لغرض الأمر أكثر، ولكن إليكم ما يلي:

أهم ورطة حشرتُ نفسي فيها هي اضطراري أن أكتب 16 صفحة يوميا لمدة شهور شرحاً لديواني الصغير عن تطور المرض النفسي "سر اللعيب"، وأن أسلم هذه الصفحات لعامل مطبعة يعمل يوميا في "الجراج"، التابع لمنزلي، وذلك حتى يجد وظيفة أخرى بعد أن وافق على ترك وظيفته السابقة ليساعدني في إنجاز أوراق مؤتمر علمي كنت مسئولاً عنه سنة 1978، كانت النتيجة لهذه الورطة هي خروج أهم عمل علمي لي حتى الآن "دراسة في علم السيكيوباتولوجي"، الذي يناهز الألف صفحة (أنظر الموقع: **كتب نفسية**)

عمر هذه الورطة الجديدة "الكتابة اليومية" إلزاما هو ستة أيام لا أكثر، مع ذلك أفادتني حتى الآن بما يلي:

أولا: ألزمتني بفعل يومي تجاه جمهور جديد لا أعرفه

ثانيا: أعطني فرصة الكتابة دون انتظار الإجابة عن سؤال يقول: "متى يرى هذا الكلام النور دون وصاية أو تحديد مساحة أو رقيب؟".

ثالثا: أبرأت ذمتي أمام الله ونفسي أني طرقت كل الأبواب

رابعا: أغنتني عن تسؤل الرأي أو الموافقة من أعضا، قد أكون متطفلا على وقتهم.

خامسا: ذكرتني بما قد مضى من تاريخي مع مجلة " الإنسان والتطور".

سادسا: كسرت وحدتي!!

سابعا: ضاعفت وحدتي!! (الشرح فيما بعد!!)

ثامنا: حفزتني أن أرجع إلى بعض ما سبق أن كتبتُه مما نُشر بجهود شخصية أو عامة (وهو الأقل) أو مما لم ينشر أصلاً (خاصة الشعر).

تاسعا: سمحت لي أن أشرح بعض الغامض (ولو بما هو أغمض منه) من فكري الذي خرج مني منفلتا في عجالتي ما.

عاشرا: سمحت لي أن أقلب في مخزون حاسوبي عشوائيا وقصدا، فأكتشف أن أغلب جهدي الفكري والإبداعي والعلمي لم يخرج للناس أبدا بالصورة المفيدة أو الواجبة، كما أن أغلب هذا الأغلب لم يخرج أصلا.

حادى عشر: سمحت لي أن أكتشف بعض شطحاتي فأراجعها، أو أرجع عنها.

قف...!

حاضرُ أقف، ثم أنتقل إلى بعض **المخاوف والسلبيات** التي بدت لي في هذه الأيام الستة، ومنها:

أولا: اقتطعت من وقتي ما أتصور أن ثمة مهام أهم أولى به

ثانيا: جرجرتني إلى مناطق كنت أفضل أن تنتهي حياتي دون أن أدخلها، أو على الأقل دون أن أعلنها

ثالثا: اضطرتني إلى شطحات جديدة، وخبط متعجلا..

رابعا:

خامسا:

.....

ثاني عشر:

قف...!

- لن أسمح لك أن تثبت المثالب والمخاطر التي خطرت لك، فأوافق لأنني أخشى إذا تماديت في تعدادها أن أتوقف نهائيا وأراجع.

يا تزي، ما هو رأى القراء؟

أكمل أم أتوقف

وإلى صباح الغد

ملحوظة: غيرت عنوان هذه الكلمات من "كل يوم" إلى "يومياً" بعد أن نبهتني زوجتي أنه نفس عنوان عمود يومي في صحيفة قومية ينشر فيه صاحبه حروفاً سوداء، تتجمع في كلماتٍ بإلحاح دؤوب فاتر معاً، وأن ذلك عكس ما أكتب تماماً تحت نفس العنوان، فشكرتها وغيرت العنوان فوراً، مع أنني كنت أود أن يكون "افتتاحيات مجلة، بدون مجلة"، أعني مجلة "الإنسان والتطور" "الإصدار الإلكتروني".

بالذمة هل هذا كلام؟

هل عندكم اقتراح عنوان آخر

شكراً

.. عن الحوار

عزيزتي أسماء أرسل لك الحكمة التي صدرت بها كتابي "حكمة الجانين" (1980)، لأطمئنك كيف تشرق الأفكار فينا بعد حين، وهي الحكمة التي دعاني البحث عنها إلى تناول كتاب "أسرار وأفكار" الذي اقتطفت منه كلمة أمس، وهي -على فكرة- ليست خاصة، بأساتذة الطب طبعا!!

هذه الكلمة المقتطفة هي الحكمة قبل الألف. لأن الكتاب يحوى ألف حكمة وحكمة غير هذه، (وهو في الموقع).

تقول هذه الحكمة التي هي "قبل العذ" (قبل الواحد من ألف) تقول:

مثل البرق بين الغيوم السوداء،

سوف تخترق كلماتي ظلام فكرك،

لتصل إلى إحساسك - وجدانك - مباشرة،

فلا تحاول أن تفهمها جدا! ...

ولسوف تشرق في فكرك بعد حين

!!!!.

مع شكركما أنت، والفاضل "محمد كامل" على المبادرة بالاستجابة لتساؤلاتي.